حركة الشباب على مفرق الطريق

للشيخ أبي عبد الرحمن الصومالي

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين. أما بعد :

فقد كثُرَت في هذه الأيام الأخيرة أسئلةٌ عن الحركات المسلَّحة الَّتي تعلن الجهاد في سبيل الله..وعن حكم دارهم .. وقد تكرَّر كذلك من المنتمين إلى الحركات المسلَّحة أن يقولوا: لماذا لا تجاهدون معنا،ألسنا إخوة في العقيدة ؟و قد صارت دارنا دار إسلام فلم لا تهاجرون إليها؟ إلى غير ذلك من الأسئلة الّتي لا تنتهي. فأحببتُ أن أقول شيئا عن ذلك، ليكون لطالب الحقِّ بياناً يكشف له الحقيقة ويُخرجهُ من الحيرة والتردُّد والاضطراب الفكري الَّذي يُعانيه الكثيرون بسبب تضارب أقوال المتبوعين واشتباه الشارات والعناوين.

فأقول –مستعينا بالله– هذه الكلمات المجملة :

1) قضيتنا قضية عقيدة.
2) وليس كلُّ قتال يكون جهاداً.
3) والصراع القائم بيننا وبين أهل الإرجاء صراعٌ بين الحقِّ والباطل.
4) وحركة الشباب على مفرق الطريق.
5) والنَّصيحةُ مبذولة وإن قلَّ المستفيدون .

أما تفصيلها فهو كالآتي :

(1) قضية العقيدة:

لقد تجمعت "الجماعة المسلمة" قبل اثنتين وثلاثين سنة على العقيدة الصحيحة بعد أن فتح الله بصائر أفرادها للحقِّ وألهمهم الرشد وألزمهم كلمة التقوى. عرفوا الفرق بين الإسلام والجاهلية، وبين الشرك والتوحيد، وبين دار الكفر ودار الإسلام فتعاهدوا على توحيد الله ونبذ الشركاء والكفر بأرباب الأرض ومناهج العبيد فكانت قضية "الجماعة المسلمة" قضية عقيدة، وإنقاذَ النفوس من الخسران الأبدي، والسعيَ لنيل رضى اللَّه والجنَّة، و لم تكن فى يوم من الأيام قضية مناصب ومصالح ومزاحمة على كرسي الحكم. لم تتناقض كلماتها، ثبّتها الله بالقول الثابت فى الحياة الدنيا، ونرجو أن يثبتها بالقول الثابت في الآخرة.

وما يقولونه اليوم –وهم كثيرون– كانوا يقولونه وهم دون العشرة :

- من أشرك بالله الشرك الأكبر لا يكون مؤمناً بالله ظاهراً و باطناً، ولا تنفعه كلمة التوحيد فى الدنيا والآخرة.
- من لم يَكْفُر بالطاغوت لا يكون مؤمنا بالله ظاهراً وباطناً.
- من لم يتبرأ من أهل الشرك لا ينفعه تبرؤه من الشرك.
- الدار تصير دار كفر بسريان أحكام الكفر عليها.
- العامة في حكم سيدها ومن رَضِيَتْ به ملكاً حاكماً.

(1) قال الله تعالى: ﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ﴾–(التغابن).

والإيمان اعتقادٌ وسلوكٌ وليس جنسيةً لبعض أصنافِ بني آدم، والكفرُ كذلك اعتقادٌ وسلوكٌ وليس جنسيةً من الجنسيات فمن حقَّق ما جعله اللهُ ورسولُهُ إيماناً فهُو من المؤمنين من أي جنسٍ وقبيل كان. ومن أتى بما جعله الله ورسوله كفراً فهو من الكافرين من أي جنس وقبيل كان. فسلمان الفارسي، وبلال الحبشي من المؤمنين، وأعمام النبي صلى الله عليه و سلم أبوطالب و أبو لهب من الكافرين.

(2) قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ اللّهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاء﴾ –(النساء).

ولا تعقيب لقول الله، وويل لمن أدخل بعض المشركين فى حيز المغفرة.

(**3**) قال الله تعالى: ﴿ فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ الصَّلاَةَ وَآتَوُاْ الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ﴾ –(التوبة).

فالتوبة من الشرك شرطٌ لانعقاد الأخوة الدينية، ومن أهمل هذا الشرطَ، ووالى في الدّين من لَم يتب من الشرك الأكبر فهو مشاقٌّ لله معارضٌ لكتابهِ الكريمِ.

(**4**) قال الله تعالى مخبراً عن قول إبراهيم عليه السلام ومن معه فى الدّين:

= ﴿إِنَّا بُرَآء مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ﴾ (الممتحنة).

= وقال: ﴿وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ﴾–(مريم).

= وقال: ﴿فَلَمَّا اعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ﴾–(مريم).

= وقال: ﴿وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلا اللَّه﴾ (الكهف).

فدلت الآيات على أنّ المطلوب ليس "البراءة من الشرك" فقط، وإنما هو "البراءة من الشرك وأهلهَ". بل إن الله تعالى ذِكْرُهُ قدّم "البراءة من أهل الشرك" على "البراءة من الشرك" ولهذا التقديم مغزاه، فليس من الموحّدين من تبرأ من الشرك و لم يتبرأ من أهل الشرك، فكيف بمن أضاف إلى ذلك معاداة الموحدين لا لشيء إلا لبراءتهم من أهل الشرك وتكفيرهم لهم.

(**5**) وقال تعالى: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ﴾ (القصص).

= ﴿فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ وَهُوَ مُلِيمٌ﴾ (الذاريات).

= ﴿وَإِذْ يَتَحَاجُّونَ فِي النَّارِ﴾ (غافر).

= ﴿فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾–(الزخرف).

= ﴿كَذَّبَتْ عَادٌ الْمُرْسَلِينَ﴾–(الشعراء).

= ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ﴾–(الشعراء).

= ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ﴾–(الشعراء).

وفى هذه الآيات دلالة واضحة على أن القادة إذا أعلنوا كفرهم واستسلمت لهم العامة، أن حكمهم واحد، وأنَّه يجوز في تلك الحالة القول بأن بنى فلان أو المجتمع الفلاني كفر بالله أو ارتدّ عن الإسلام.

(2) وليس كلُّ قتال يكون جهاداً شرعيّاً:

إنَّ القتال الّذي يُمكنُ أن يقع بين بني البشر أنواعٌ لا يُمكن التخليط بينها، ومن حاول التلبيس ووصف أحد الأنواع بوصف لا يستحقُّه فسوف يلقى فشلا ذريعا، وخيبة أمل كبيرة. فمن أنواع القتال:

(أ) الجهاد في سبيل اللّه:

وهو قتال أمر اللّه المؤمنين به،وهو قتال بين أهل الإسلام وأهل الكفر،سواءٌ بدأهُ المسلمون، أو كانوا في موقف الدفاع. ويجبُ عندما يكون المسلمون البادئين أن يدعوهم أولا إلى الإسلام، فإن أبوا عرضُوا عليهم الجزية، فإن أبوا قاتلوهم ،فإن غلبوهم كان كلُّ شيء في دارهم غنيمة للمجاهدين ،يدفعون منها الخمس ويكون الباقي لمن شهد الوقعة. ومن أحكام الجهاد الكتابة إلى الملوك والمتبوعين ،وعرضِ الإسلام عليهم، فمن أبى منهم وانهزم كان كلُّ شيء في مملكته غنيمة لأهل الإسلام. ولا يُقال حينئذ : ما ذنبُ النساء و الصبيان والأعراب،لأنّ الوقوع في أسر المسلمين خيرٌ للبشر من التنعم بالحرِّية في ظلِّ سلطان الكفر.وهذه سُنَّة النَّبي صلى الله عليه و سلم وخلفائه الراشدين.

وإذا كانت الدار دار إسلام ثمَّ ارتدَّ حكامها أو غلب عليها المرتدُّون وجب على القادرين الهجرة منها إلى دار الإسلام، ووجب على المجاهدين غزو دار الردَّة ،وإجراء أهلها على أحكام المرتدِّين إلا من تبيَّن عُذرُه.وإذا ظهر أهلُ الإسلام على المرتدِّين ،فإنَّهم

يدعوهم إلى التوبة فإن تابوا وإلا قُتلوا عن آخرهم.ويكفيك في معرفة ذلك أن تُراجع سيرة الصحابة في زمن الصدِّيق رضي الله عنه، وهديهم في قتال المرتدِّين.

ومن الجهل القول: " بأنَّ الدار قد صارت دار ردَّة والشعبُ لا يزال مسلما" لأنَّ هذا تناقضٌ بيِّنٌ ،لأنّ الّذي ارتدّ ليس هو الأرض وإنَّما هو السكان. ومعنى "دار الردَّة"هو:البلد الذي يسكنه المرتدُّون المستحقون للقتل بالردّة وتكون الغلبة لهم. ويُستثنى من ذلك من كان له عُذرٌ في المقام أو كان قادرا على إظهار دينه.

(ب) قتال الطائفة المسلمة الباغية:

وهو من الجهاد لأنَّ الله أمربه في قوله :"فقاتلوا الّتي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله"، و لكنَّه ليس كقتال المشركين فلا يُقتل الجريح والمدبر ومن ألقى سلاحه وليس فيه غنيمة وخمس وسبي.

(جـ) قتال الفتنة:

وهو قتالٌ حرامٌ يقعُ بين المسلمين كقتال البُغاة إمامهم العادل، والقتال على المُلكِ، والقتال على العصبية الجاهلية. و يكون الباعثُ فيه غالبا رقَّة الدِّين وغلبة الشهوات وطلبُ العُلوّ والشهرة ،وتحكُّم العصبية الجاهلية. وقد يكون مبعثه أحيانا الخطأ في التأويل ،وتُرشدنا سنَّةُ النَّبيّ صلى الله عليه و سلم إلى الإنعزال و الإبتعاد عن قتال الفتنة،لأنّه من كبائر الذنوب و مِن موجبات النَّار.

(د) قتالُ اللصوص وقطاع الطرق:

وهو ظُلم وعُدوان وجُرأةٌ على الله يستحقُّ صاحبه القتل والصلب وقطع الأطراف في الدنيا كما يستحقُّ العذاب في الآخرة.

ومن هذا تعرفُ أنَّ القتال منه ما هو طاعةٌ لله موجبٌ لجنَّته ورحمتهِ، ومنه ماهو عصيان ومخالفة موجبةٌ لدخول النَّار. فلينظر اللبيبُ قبل إطلاق النَّار على أيِّ نوع من أنواع القتالِ يُريدُ أن يُقاتلَ، فإن تبيَّن له أنَّه طاعةٌ لله فليُقْدِمْ وليكن فيه رأس الحربة، وإن تبيَّن العكسُ فلا يُسرِع إلى النَّار لإرضاء رغبة فُلان وفُلان.

(3) والصراع القائم بيننا وبين أهل الإرجاء صراعٌ بين الحقِّ والباطل:

(**1**) اعتاد علماء المرجئة المعاصرة، منذ ظهور "الجماعة المسلمة" أن يصفوها بأوصاف المقت والتحقير، وأن يقولوا عنهم "الخوارج" و"جماعة التكفير" وأن يُفتُوا بحلّ دمائهم عند المقدرة. وكانوا يقولون "المجتمع مسلم" و"الدار دار إسلام" و"رئيسنا من عصاة الموحدين".

وهذا هو الصراع الطبيعي بين الحقِّ والباطل، و الموقف التقليدي لكلِّ من ضلَّ عن فهم التَّوحيد ،فلا يُنتظرُ منه إلا الإنكار والعُدوان ،فإذا أراد الله به خيراً ،و شرح صدرهُ للحقِّ، فإنَّ عدُوَ الأمس يصيرُ صديق اليوم وقد حدث ذلك كثيرا،وتحوَّل كثيرون من منهج الإرجاء إلى منهج التَّوحيد الخالص ،والبراءة من الشرك وأهله.فكان ذلك حافزا يدعونا إلى المُصابرة وعدم اليأس. وكان الحافز الآخر ما نرى فيهم من التذبذب الفكري، والتّنقل من مذهب إلى آخر بين الحين والحين، بل شاهدناهم في مناظراهم مع المُوحدين وهم يختلفون ويردُّ بعضهم بعضا في مسائل هامَّة من مسائل التَّوحيد.

إنَّ من ضلّ عن التوحيد الَّذي هو رأسُ الأمر وأصل الدِّين لا يُمكن أن يَصحَّ سلوكُه وإلتزامهُ بالأحكام الفرعية. وأصحابُ الإرجاء المُعاصر خيرُ مثال لذلك فإنَّهم يُؤصِّلون الأصل ثُمَّ يُنقضونه بلا مبرر كما يُقال: "يأخُذُ بشماله ما يُعطِي بيمينه":

- تراهم يُبيِّنُون الشرك الأكبر وأنَّ الواقع فيه قد انسلخ عن الإسلام جملة،ثمَّ تراهم يُدافعون عن المشركين بحجَّة أنَّهم يقولون "لا إله إلا الله". فيجعلونهم من أهل التوحيد.وإن أشركُوا.
- تراهم يقولون أنَّ المشرك الجاهل يُحكم بكفره ،لأنَّ مشركي العرب أسلمُوا بعد دعوة النَّبيّ φ، وكانوا قبل ذلك مشركين مع جهلهم، ثمَّ يستثنون من هذه القاعدة –بدون حجَّة– المشركين المُقرِّين بقول "لا إله إلا الله".

- تراهم يُعلنون الجهاد في سبيل الله على قوم يزعمون أنَّهم مسلمون ويقولون "لا إله إلا الله" وحجّتهم أنَّهم يرفضون الانقياد لكتاب الله. وهم في أثناء القتال يزعمون أنّ الله أيَّدهم بالكرامات،ثمّ تراهم –وقد انهزمُوا– يعترفون بخطئهم، ويُلقون اللوم على فلان وفلان، لأنَّهم قد قتلوا أقواما يقولون " لا إله إلا الله ".
- تراهم يقولون على المنابر :"إذا بلغ أولئك الخوارج ثلاث مائة رجل فسوف يقتلونكم". ثمّ بعد قليل تجدهم وقد سبقُوا إلى سفك الدماء، بل يدعون الموحدِّين إلى الاشتراك في سفك الدماء باسم الجهاد.

(**2**) فلما سقطت الدولة وتناحر المجتمع، وتفرقوا شيعاً، رأيناهم تجمعوا فى معسكر، في "كسمايو"، رأينا عدداً كبيراً من الشباب يتدرّبون على الأسلحة وفنون القتال، ويكثرون قراءة القرآن ويصلون جماعة. فظنّ بعض الناس أنهم تبرؤا من المجتمع الجاهلي وانحازوا إلى معسكرٍ خاصٍ لهم.

فذهبت إلى المعسكر ولقيت معلماً عسكرياً هناك فكان مما قلت له: "أليس الصواب أن تُعلموا الشباب العقيدة والبراءة من الشرك قبل إدخالهم فى هذه الحروب القبلية". فقال لي: "نحن لا نريد دخول الحرب، ولكن نريد الاستفادة من هذه الفرصة السانحة، فنعلّم الشباب المتديّن استعمال السلاح وفنون الحرب كي ينفعهم ذلك في وقت من الأوقات".

وكان شباب المعسكر يقولون لنا :"إذا كانت براءتكم لله فادخلوا المعسكر واستعدّوا للجهاد" وكنّا نقول لهم:"ليست البراءة دخول المعسكر ودخول القتال وإنما هي بغض المشركين في الله وقطع موالاتهم ومفاصلتهم على العقيدة، وعدم الصلاة خلفهم أو عليهم قبل القتال".

ثم قدّر الله لي أن أَمُرَّ بهم وهم في خطّ الدفاع يريدون قتال "جبهة عيديد"

فقال لي أحدهم: "لماذا أنت صائم؟ ألا تعلم أنَّ اليوم يوم عيد؟". فقلت له: "من الذي رأى الهلال؟".

فقال: "أهل مقديشو".

فقلت له: "أنتم في جهاد وتفطرون برؤية عدوّكم؟ ما هذا الجهاد إذا كانوا مسلمين؟".

فقال: "يا أخي هذه حرب أهلية والقوم كلهم مسلمون".

(**3**) ثم وجدناهم في معسكر "طوبلي"، وهم يُحرّضون الشباب على دخول "المعسكر" استعداداً للجهاد في سبيل الله بزعمهم. وكنت أقرأ "درس التفسير" في مسجد في "لبوي" وكنت أخبر الشباب: "أن الجهاد هو قتال المشركين لتكون كلمة الله هي العليا وهؤلاء الصوماليون لا يجوز قتالهم قبل دعوتهم إلى التوحيد".

وكنت أقول أيضاً: " أنتم كيف تقاتلون قوما تشهدون أنهم مسلمون!!". وقد كان بعضهم يقول: "إنهم رفضوا كتاب الله فجاز قتالهم" فأقول: "وما حكم الرافض لكتاب الله؟؟" فيسكت، لا يدرى ما يقول.

ثم بدأوا أن يَلغَوا في درس التفسير، ويذهبوا بكلّ من يحضر المسجد ويقولوا له: "هذا الرجل يُكفّر المجتمع ولا يُصلى خلفنا ولا يأكل ذبيحتنا فلا تسمع كلامه ولا ترجع إليه"، وقد كان من عادتهم أنهم يقولون في السّلم: "احذروا أولئك الخوارج، لا تجلسوا معهم ولا تسمعوا منهم كلمة" وإن سئلوا عن قتلهم قالوا: "دمهم حلال وقد قتلهم علي رضي الله عنه".

فإذا دخلوا في حربهم الأعمى قالوا لنا: "لماذا لا تجاهدون معنا؟ أين براءتكم وعداوتكم للمجتمع؟ نحن سبقناكم في البراءة وفى الجهاد". فالمجتمع الجاهلي عندهم مسلم مرّة وكافر مرّة، والجماعة المسلمة عندهم مسلمون تُطلب نصرتهم مرّة، وخوارج يستحقون القتل مرّة أخرى. وهكذا قضوا أعمارهم في هذه الفترة على هذا الجهل المركّب والتناقض المزري، والتذبذب بين الحقّ والباطل.

(**4**) وقد جرت بيننا وبين علماء المرجئة مناظرات كثيرة، بعضها يوجد مسجلاً وتحدثت مع بعضهم فرادى. فعرفت أنهم يجهلون "حقيقة التوحيد" وأنهم لا يرون التوحيد والشرك الأكبر ضدّان ينقضُ أحدهما الآخر. وعرفت أنهم يُبغضون أهل التوحيد الخالص ويستحلّون دماءهم ويعضّون عليهم الأنامل من الغيظ.

وكانت الحادثة الأليمة تُترجمُ نوايا القوم الخبيثة، حيث استحلّوا أن يُلقوا قنبلة على "الجماعة المسلمة" وهم فى صلاة الجمعة فاستشهد منهم "عمر محمود" و"الشيخ محمد" رحمهما الله وجرحوا كثيرين فى قرية "طوبلى"، وقبل ذلك ألقوا قنبلة في مسجد قرب الكلية العسكرية ﴿وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الأُمُورِ﴾.

عجيبٌ أمر القوم، ما أجرأهم على الله، كيف يرجون نصر الله وهم يحاربون التوحيد وأهله هذه الحرب المعلنة المكشوفة. إنهم جهلاء في زيّ العلماء:

- لا يعلمون أن كنائس النصارى من أهل الذمة والصلح مصونة في دار الإسلام.
- لا يعلمون أن الغدر حرام في الإسلام.
- لا يعلمون أن الخوارج لا يقاتَلون ما لم يسفكوا دماً حراماً أو يقطعوا طريقا.
- لا يعلمون أن مناظرتهم تسبق قتالهم.
- بل أعجب من ذلك لا يعلمون أن أنبياء الله تبرؤا من أهل الشرك، وكان منهم اليهود والنصارى الذين يقولون: "لا إله إلا الله" وأن الصحابة قاتلوا بني حنيفة ومانعي الزكاة والسبئية وهم يقولون "لا إله إلا الله محمد رسول الله". ويزيد على ذلك ما ينسجونه من افتراءات وأكاذيب حول الجماعة وعقيدتها ومنهجها.

(4) وحركة الشباب على مفرق الطريق:

وحركة الشباب يتصارع فيها فكران متضادّان وتياران متعارضان :

(**الأول**) هو امتدادٌ لفكر المرجئة المعاصرة، أعداء التوحيد والموحّدين الذين لا يزالون يردّدون "خوارج" و "تكفير"، ويستحلّون هدم المساجد إذا كان أهله من الجماعة المسلمة:

(1) هدموا مسجد قرية "عيل بيان" –عيل بون سابقا– واستخدموا مواده فى بناء سجنهم المجرم، وحبسوا أهل المسجد أكثر من شهر، ونفوا بعضهم من القرية.

(2) نفوا الموحدين من قرية "بُقْذَ"، ونفوهم كذلك من "وَبْحَه" بعد التهديد بالقتل وهدم بناء المدرسة.

(3) أغلقوا أبواب مسجد "شلنبوت" وسجنوا الإمام وأمروا بنفي بعض الجماعة من القرية.

(4) وهجموا مسجد"براوة"بجنود مسلحة وأخذوا أجهزته وأشرطته، وسجنوا الإمام وبعض الأفراد.

(5) وهجموا كذلك على الجماعة فى "دافيت" وفى "قريولى" وفى "جلب" وفى "سبلالى" وفى غيرها.

(6) وفي "بيدوا" لا يزال أحد عشر رجلاً مسجونين، لا لشيءٍ إلاّ لتوحيدهم وبراءتهم من الشرك وأهله. ﴿وَمَاْ نَقَمُوْا مِنْهُمْ إِلاَّ أَنْ يُؤْمِنُوْا بِاللهِ الْعَزِيْزِ الْحَمِيْدِ﴾

واعتدنا أن نسمع كلَّ يوم إمّا هجوماً على مسجد أو شخصٍ أو تهديداً عاماً. وهذا فى الحقيقة إعلان حرب ضدّ الجماعة لأنّ حفظ الدّين أعظم من حفظ النفوس.

قال الله تعالى: ﴿وَلَوْلا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾.

ولا ندرى أوراء ذلك صليبيون يريدون خلق خصوم جدد لهم، أم أن ذلك مبلغهم من العقل ولا يدركون أن الإكثار من الخصوم لا يفيدهم شيئاً بل يضعفهم. وهؤلاء إن لم يتوبوا من غيّهم فسوف يسلّط الله عليهم أعداءهم من أهل الشرك والردّة، أو يرميهم الله بأيدى الموحدين بيوم كيوم بدر، يُكرم بها أولياءه ويذل أعداءه.

(**والثانى**) هو فكر رجالٍ عرفوا حقيقة التوحيد، وبيّنوا حقائق علمية، طالما سعت المرجئة فى كتمانها، منها: كفر الحاكم بغير ما أنزل الله، وكون داره دار كفرٍ، وخروج المشرك من الملّة مع قوله "لا إله إلا الله"، وكذا من شكّ في كفره، وضلال المرجئة المعاصرة في جدالها عن أهل الشرك، ووصف الموحّدين لأول مرّة بـــالموحّدين"، لا بـــ"التكفير" و"الخوارج".

إلا أن الخير الذى فى فكر هؤلاء يُفسِدُه الشرّ الذى فى فكر الأولين، إنْ لم يتدارك الله الأمر بلطفه وكرمه.
وإذا غلب التيار (الثاني) التيار (الأول) فإننا نرجوا لهم خيراً كثيراً. أما إذا كان العكس واستمرت محاربة أهل التوحيد ومداهنة أهل الشرك والإرجاء، فإن نصر الله بعيدٌ عنهم، لأنهم يمكرون، ﴿وَيَمْكُرُ اللّهُ وَاللّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾ (الأنفال).
فإن قيل: إن قادة الحركة والطبقة الحاكمة "موحدون" فلا يضرّك جماهير المرجئة الذين لا يفرّقون بين التوحيد والشرك.
أقول:"إنّ أهل التوحيد لا يجوز لهم تجنيد أهل الشرك وتسليطهم على إخوانهم الموحدين، يهدمون مساجدهم ويهينون الأبرياء منهم
وأهل التوحيد لا تجوز لهم الخيانة ووصف أهل الكفر بالمجاهدين،وإنما عليهم أن يُعلّموهم الحق ليتّبعوه أو يرفضوه.
وأهل التوحيد لا يحلّ لهم أن يغيّروا أحكام الله فيقاتلوا المرتدّين، فإن غلبوهم عاملوهم معاملة المسلمين وتورّعوا عن استتابتهم، وسلّموا إليهم مقاليد البلادِ.
ولا يحلّ لهم أن يتردّدوا في حكم الدار وأن يقولوا مرّة: إنها دار ردّة ومرة إنها دار إسلام.
ولا يحلّ لهم أن يفعلوا فعل "التتار" الذين كانوا يعطون الأمان من يتّبعهم ولو كان كافراً، ويقتلون من لم يتبعهم ولو كان ولياً من أولياء الله المتقين، كما ذكر عنهم الإمام "ابن تيمية" فى المجلد الثامن والعشرين من مجموعة الفتاوى.
أمّا عن الهجرة إلى دارهم فإنّه كلامٌ ليس في حينه، ودونه عقبات ثلاثٌ لا بُدّ من اجتيازها :
(**الأولى**): تصحيح العقيدة والتوبة من معاداة الموحّدين والبراءة من أهل الشرك:
ولقد عرفنا أنَّهم يجمعون بين نقيضين، من يُعادي الموَّحدين ومن لا يُعادي، والغلبة للأولين كما يظهرُ لنا، لأنَّهم هدموا المساجد وأغلقوها وأهانُوا أهلها ونفوهم ،فلو كان للآخرين سُلطة لاستحقَّ الظالمون عقوبات رادعة لأمثالهم.
(**الثانية**): تصحيح الفكرة عن الدار .. لأنّه ليس لهم فكرٌ محَدّدٌ ثابتٌ عن الدار -أي بلاد الصومال- فهي عندهم دار ردّةٍ ودار إسلامٍ في نفس الوقتِ، ومن تبرّأ من هذا المجتمع فهو عندهم خوارج وموحّد في نفس الوقت، أي هم مُختلفون وعلى قولين.

- جاء في كتاب "المعالم في المنهج والمُعتقد" -الذي كتبوه لبيان منهجهم ومعتقدهم- في صفحة (27)، باب أحكام الديار، هذه التعريفات:

(أ) **دار الإسلام**: هي التي نزلها المسلمون، وجرت أحكام الإسلام. وما لم تجر أحكامُ الإسلام لم تكن دار إسلام وإن لاصقها. (أحكام أهل الذمة)
(**ب**) **دار الكفر**: كلّ دار كانت الغلبة فيها لأحكام الكفر دون أحكام الإسلام فهي دار كفر. (المعتمد في أصول الفقه).
(**قلتُ**): هذا هو التعريف الصحيح للديار، فالصومال كانت دار كفر عندما كانت تحت حكم "محمد سياد"، وكانت كذلك "دار كفر" عند ما كانت تحت الحكومات المدنية التى سبقت "محمد سياد"، وكانت دار كفر لما كانت تحت البريطانيين والإيطاليين، فالعبرة هى سريان أحكام الكفر، سواءً كان الحاكم من جنس سكان الوطن أو كان أجنبيا تسلّط عليهم.
فمن الخطأ القول بأن الصومال كانت "دار إسلام" أو "داراً للمسلمين" عندما كان يتولى أمرها رجالٌ صوماليون، يحكمون بأحكام الكفرة، وإنما صارت دار كفر عند ما جاء الأحباش وأذنابهم. هذا قد يقول به من يؤمن بالقومية والوطنية ولا يقول به المسلم الصادق.
وجاء فيه أيضاً: "وإذا دخل أحد الكفار إلى بلاد المسلمين والتي هي دار كفر وردّة اليوم فإنه لا يدخلها إلا بعد حصوله على تأشيرة دخول (فيزا) من السلطة الحاكمة بهذه البلاد وهذا لا يعتبر أماناً يعصم دمه وماله بهذه البلاد لصدور هذا الأمان من كافر مرتدّ وهو السلطة الحاكمة المرتدّة التي ليس لها ولاية شرعية على المسلمين. وأما إذا دخل أحد الكفار هذه البلاد بناءً على دعوة من مسلم -ولو كان فاسقاً- فإن هذا يعتبرُ أماناً شرعياً يجب على المسلمين احترامه!!".
(**قُلتُ**): في هذه الفقرة أخطاء كثيرة :
(**الأول**) ادّعاء أنها ما زالت دار المسلمين مع كونها دار كفرٍ وردّة وهذا ينقض التعريف المتقدّم.

(**الثاني**) يرى أن الشعب الخاضع للسلطة المرتدّة شعبٌ مسلمٌ مع العلم بأن هذا الشعب كان خاضعاً للتشريعات البشرية زمناً طويلاً، أيام "محمد سياد" ومن قبله من حكومات محلية وأجنبية. وهم ينقادون لكل سلطان سواءً جاء بدستور أوروبي أو جاء بالشريعة المحمدية، فلا يعرفون نفياً وإثباتاً، إذا اتبعوا الحكومة التي تحمل القرآن فليس معنى ذلك عندهم أنهم يرفضون الدساتير الوضعية. والواقع خيرُ شاهدٍ لذلك.

(**الثالث**) في هذه الفقرة ينفى أمان الأجانب الكفار كالأوروبيين، فيدلّ مفهوم المخالفة على أن الصوماليين المرتدّين التابعين للحكومة المرتدّة لهم الأمان، ومن الخطأ القول بالتفريق بين الكفار الذين هم في دار الردّة في القتل فيقول: "اقتلوا البيض واتركوا السود" هذا لا يقول به مسلمٌ عرف الإسلام. وإذا ادعى الرجل أن هذه الدار التي صارت دار ردة هي بلد المسلمين ولا يدخله كافرٌ إلا بأمانٍ من مسلم فقوله دليلٌ على عدم فهمه لمعنى دار الحرب ودار الإسلام.

فإن قالوا: "نحن لم نُعط أماناً للمرتدِّين الصوماليين".

قُلتُ: "إنّ جنودكم يقتلونهم لأنّ الأمير أمرهم، ولا ينطلقون من قاعدة دينيّةٍ كوجوب قتال المرتدّين، بل المعروف المشهور أنّهم يأكلون ذبائحهم ويناكحونهم ويصلُّون خلفهم

(**الرابع**) وهذه الفقرة أيضاً تردّ على ما جاء في موضع آخر من تعريف الهجرة ووجوبها :

قال: "والهجرة هي الانتقال من بلد الكفر والشرك إلى دار الإسلام" وقال: " وعلى عكس الهجرة الشرعية الإقامة بدار الكفر والشرك والسفر إليها من غير عذر معتبر كالعلاج والتجارة وهى محرّمة"

(**قُلتُ**): وإذا كانت الهجرة متعينة فما هذا المسلم الذي في دار الردّة ويقدر على إعطاء الأمان للكفار الأجانب، وما فائدة أمان من ليست الدارُ دارُه، ولا سلطان له على أحد.

جاء فى صفحة (9): "ونرى أن الأصل فى الشعب الصومالي الإسلام، ولذا لا يقبل من ارتدّ منهم عن الإسلام النصرانية أو اليهودية أو البوذية أو الشيوعية أو اللادينية (العلمانية) .. بل يصير مرتداً"

(**قلتُ**): معنى ذلك أنّهم يُقرُّون أنّ الصوماليين في آخر حالهم كانوا موحّدين، كافرين بالطواغيت، -لأنّه لا إسلامَ بدون توحيدٍ وبراءةٍ من الطواغيت- فهل هذا صحيح؟.

إنّه لا يقول ذلك من شمّ رائحة العلمِ وعرف واقع البلدِ وتاريخه، فإنّ الصوماليين كانوا مطيعين للبريطانيين والإيطاليين والفرنسيين، -وإن كان منهم من قاتلهم في ابتداء أمرهم إلاّ أنّهم استسلموا أخيراً وصاروا رعيّةً لهم ينقادون لأوامرهم ويتحاكمون إلى شرائعهم ويطلبون المناصب والوظائف منهم. ثم لّما خرج أولئك الأجانب من البلاد وضعوا السلطة في يد تلامذتهم الأوفياء، فساروا على هديهم العلمانيِّ. ثم جاءت (الثورة) فأوغلت الطريق بجرأةٍ وحماسةٍ، وسلس لها مقاد الأُمّة أكثر من عشرين سنّة، ثم انهار النظام وكان ما هو معروف .. فمتى كان آخر حالهم التوحيد والكفر بالطاغوت؟.

إنَّ الفقهاء عندما يقولون "الأصل في هذا البلد الإسلام" فمرادهم هو استصحاب الحال، أي اعتبار آخر أحوال البلد، وبناء الأحكام عليه، فإن كان حاله الأخير الإسلام والتوحيد فيجب اعتبار ذلك في الأحكام، فيُصلى على المجهول الذي مات فيه، ويؤكل اللحم المعروض في السوق الذي لا يُعرفُ ذابحه.

ومثل ذلك إذا كان حاله الأخير عبادة الطاغوت ونبذ كتاب الله وموالاة أعدائه .. وجب استصحاب ذلك وترك الصلاة على الميت المجهول، وتركُ الذبيحة التي لا يُعرفُ ذابحها، وغير ذلك من الأحكام.

ومن قال اليوم إن أصل الشعب الإسلام ولا يكفر إلا من أظهر الردّة مع سريان أحكام الكفر عليهم وظهور موالاتهم للكفار .. من قال ذلك فقد حكم على دار الكفر أنها دار إسلام. وليس فى اصطلاحات العلماء، أن أصل الشعب الإسلام مع كون دارهم دار ردّة، لأن ذلك جمع بين ضدين.

إذا قيل إن أصل الشعب الإسلام فداره دار إسلام وإن قيل إن أصلهُ الردّة — اي آخر حاله — فداره دار ردّة. ومن ظنّ أن المراد بأصل الشعب هو دين أجداده القدماء فقد أخطأ لأن مشركى العرب كان دين أجدادهم هو الإسلام الحنيف ملّة إبراهيم وكذا

اليهود والنصارى ... فمن الثابت أن التاريخ القديم لا تأثير له فى إصدار الحكم في الزمن الحاضر. ومن ظن أن المراد بالأصل هو الزعم والإدعاء، فليعلم أن اليهود والنصارى والمشركين كانوا جميعاً يزعمون أنهم على ملّة إبراهيم فأبطل القرآن زعمهم ووصمهم بالشرك والكفر.

(**الثالثة**): تبيينُ نوعِ القتال المطلوبِ: هل هو قتالٌ لأهل الكفر فيكون الرئيس والعامة في حكم واحدٍ؟ أم هو قتالُ طائفةٍ مسلمةٍ باغيةٍ؟ أم هو القتال على السلطةِ وكرسيِّ الحكمِ، والتكفير لأجل شحذ الهمم وكسب الأنصار؟ فإن كان القتال المطلوب هو الجهاد فلا بُدّ من معرفة الأُمور الآتية:

1) الجهادُ قتالٌ بين أهل الشرك أو الردَّة و بين أهل التوحيد، ولهُ أحكامٌ واجبة الاتِّباع منها:

2) الدعوة إلى التوحيد وترك الشرك قبل القتال.

3) أن يُعرضَ عليهم قبول إحدى ثلاث خلال: الإسلام أو الجزية أو القتال، إلا في أهل الردَّة فلا توضعُ عليهم الجزية، فإمَّا أن يُسلمُوا و إمَّا القتال.

4) ليس من أحكام الجهاد أن يُعامَل أمراء الكفر بمعاملة خاصة كالقتل والتكفير مع إنزال العامّة الّتي يقودونها منْزلة المسلمين، بل إنَّ هذا تشريعٌ جديد ما أنزل الله بها من سُلطان. والعامةُ التابعة لأمراء الكفر المقيمين في دارهم لها حُكم الأمراء يُصيبها ما أصابهم سلماً وحرباً.

إنّ منهج الإسلام الثابت في تغيير وانقلاب المجتمعات الجاهلية يتلخص في المراحل الآتية:

(**الأولى**) الدعوة إلى التوحيد والبراءة من الشرك وأهله، وتجمُّع الموحّدين ف "جماعة مسلمة".

(**الثانية**) إذا كثُر الموحدون ووجدوا داراً يمتنعون بها وجبت عليهم الهجرة من دار الكفر إلى دار الإسلام.

(**الثالثة**) هي الجهاد في سبيل الله حتى يحكم الله بين أهل الحقّ وأهل الشرك والباطل.

****

(5) تعريفات وتصحيحات وفوائد:

1– الكافر الأصلي: هو الإنسان المقيم على الكفر الّذى نشأ عليه، و لم يدخل في الإسلام قطّ كاليهودي والنصراني والوثني.

2– الكافر المرتدّ: هو الّذى كفر بعد إسلامه وارتدّ إلى اليهودية أو النصرانية أو الوثنية أوغير ذلك من ملل الكفر.

3– وارث الردّة: هو الّذى ورث عن المرتدّين ما صاروا به مرتدّين وهؤلاء أنزلهم فقهاء الإسلام منزلة المرتدّين فى أحكام التّعامل، لأنّهم مثلهم فى الإفساد وتغييرالدّين، فوارث الردّة يشبه المرتدّين فى الإعتقاد والسلوك ويشبه الكافر الأصلي من حيث عدم الدّخول فى دين الإسلام فيجب أولاً تعليمه دين الإسلام وقتله بعد التعريف والبيان إذا أصرّ على الكفر.

4– المبتدع: هو المسلم الّذى اعتقد عقيدة باطلة عن حسن نية وخطأ فى التأويل والإستدلال، وقد تكون هذه البدعة مكفّرة وقد تكون مفسقة.

5–الفاسق: هو مرتكب الكبيرة الّذى لم يستحلّ المعصية، فهو مؤمن بإيمانه فاسق بكبيرته.

تنبيه: قد يُطلق على الكافر إسم "الفسق" أو "الظلم" ويُراد حينئذٍ "الفسق الأكبر" و"الظلم الأكبر" أي: الكفر الأكبر. وكذا يُطلق اسم الكفر على فاعل الكبيرة، ويُراد حينئذ "الكفر الأصغر" أو "كفرٌ دون كفر".

6– ما الفرق بين الكافر الأصلي والمرتدّ في التعامل؟

الجواب:

1) الكافر الأصلي يصاحبه أقرباؤه المسلمون فى الدنيا معروفاً، كما قال تعالى:﴿وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾ (لقمان).

والمرتدّ إما أن يتوب وإما أن يُقتل للحديث : "من بدّل دينه فاقتلوه" — (البخاري).

فإن عجزوا عن قتله يهجرونه أبداً ولا يستحقّ منهم صلة رحم.

2) الكافر الأصلي يعطيه المسلمون "أماناً" إذا طلب، بخلاف المرتدّ فإما أن يتوب وإما أن يقتل.
قال تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلاَمَ اللّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لاَّ يَعْلَمُونَ﴾- (التوبة).

3) الكافر الأصلي قد يُمنُّ عليه وقد يُسترقُّ وقد يُصالح على مال، بخلاف المرتدّ الّذى إما أن يُقتل وإما أن يتوب.

4) الكافر الأصلي لا يقتل إذا كان شيخاً كبيراً أو راهباً عاكفاً على صومعته أو إمرأة، بخلاف المرتدّ فهو يُقتل وإن كان شيخاً أو راهباً أو إمرأةً.

5) يحلّ نكاح وطعام بعض الكفار الأصليين كالكتابيين، بخلاف المرتدّ فهو لا يصحّ نكاحه وذكاته، لأنه محكوم بالقتل إن لم يتب.

(7) ما الدليل على جواز تعميم الحكم على سكان الوطن الكبير؟

الجواب: والأدلة على تعميم الحكم والقول بإطلاق الكفر على المجتمع الكبير كثيرة فى الكتاب والسنة، منها ما يأتي:
قال تعالى: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهَا﴾ – (الشمس).
وقال: ﴿وَتِلْكَ عَادٌ جَحَدُواْ بِآيَاتِ رَبِّهِمْ﴾ – (هود).
وقال: ﴿وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَى﴾ – (النجم).
فهذه الأمم الكافرة استحقّت كلّ منها أن توصف بالكفر والتكذيب والظلم لأنها استسلمت لأكابرها وزعمائها، الذين يقودونها جهراً بأهوائهم واصطلاحاتهم المخالفة لأمر الله.

والمجتمع البشري منقسم بفطرته الى سادةٍ رؤساء وعامة تابعة كما جاء فى شعر الصحابي:"وما الناس إلا سيّد ومسود"، فإذا جهر الرؤساء بالكفر البواح وأطاعته العامة فقد استحقّ المجتمع كلّه أن يوصف بالكفر، ويقال: "كفرت قبيلة فلان"، كما رأينا في هذه الآيات وأمثالها.

وينبغي كذلك أن يُعرفَ أنه عند ما يُقال: "كفرت قبيلة فلان" فليس المعنى عدم الاستثناء، وإنما هو: "كفرت قبيلة فلان إلاّ أقلية قليلة من أهل الإيمان".

فالله تعالى قال: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ﴾، وقال: ﴿كَذَّبَتْ عَادٌ﴾، وقال: ﴿فَلَمَّا جَاء أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَالِحًا وَالَّذِينَ آمَنُواْ مَعَهُ﴾، وقال: ﴿وَلَمَّا جَاء أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا وَالَّذِينَ آمَنُواْ مَعَهُ﴾.
وقال عن نوح عليه السلام: ﴿وَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ﴾.
فدلّ ذلك على صحّة إطلاق الكفر على الأمة الفاعلة له مع وجود بقية صالحة منهم. كما قال تعالى عن فرعون وقومه: ﴿فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾ (الزخرف)،
وقال عن قوم ملكة "سبأ":﴿إِنَّهَا كَانَتْ مِن قَوْمٍ كَافِرِينَ﴾ (النمل).
والأرض تابعة لسكانها ومنسوبة إليهم فيقال: "بلاد العرب" و "بلاد العجم" وبلاد الفرس والترك والحبشة إلى آخره.
فإن كان القوم الذين يسكنون القرية كفاراً جاز القول بأن هذه القرية هي دار كفر أو هي قرية كافرة أو فاسقة.
قال تعالى: ﴿سَأُرِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ﴾ والمراد: دار الكافرين.
وقال: ﴿رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا﴾ (النساء).
والقرية هي "مكة" سمى الله أهلها مع وجود بعض المؤمنين كما جاء فى سورة الفتح: ﴿وَلَوْلا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَاء مُّؤْمِنَاتٌ لَّمْ تَعْلَمُوهُمْ أَن تَطَؤُوهُمْ فَتُصِيبَكُم مِّنْهُم مَّعَرَّةٌ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾
وفى الحديث: «سلام عليكم ديار قوم مؤمنين» يعنى مقابر المسلمين.

ثبت بالأدلة الثابتة من الكتاب والسنّة أن العامة وجمهور النّاس لهم حُكم رؤسائهم المطاعين. من ذلك قوله تعالى: ﴿فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾ (الزخرف)، و﴿فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ﴾ (القصص)، و ﴿وَإِذْ يَتَحَاجُّونَ فِي النَّارِ﴾ (غافر).ولذلك جرت سنّة النبي صلى الله عليه و سلم وخلفائه الراشدين على مكاتبة الملوك ورؤساء الأمم الكافرة، فإن أبوا الإسلام كانت الحرب فإن إنهزموا كان كلّ شيء فى مملكتهم "غنيمة" للمسلمين، ومن ذلك النساء والأطفال الصغار، فلم يكن أحد من المسلمين يقول: "ما ذنب النساء والأطفال؟" وكان مما يكتبه للملوك: "أسلم تسلم فإن توليت فإنما عليك إثم الأريسيين" أي: إثم العامة.

فقول بعض الناس: "الحكام كفار مرتدون والعامة المطيعة مسلمون" يُنبّئ عن جهلٍ بالأدلة وبالفقه الحركي الإسلامي، وطريقته في انقلاب المجتمعات الجاهلية.

(8) هل الصوماليون الّذين يشركون بالله كفارٌ أصليون أم مرتدون؟ وإذا كانوا مرتدين، متى كانت هذه الردّة؟

الجواب: كلّ من أشرك بالله وعبد معه غيره، وهو يزعم أنّه مسلم ولا يدّعى ملة غير ملة الإسلام من الصوماليين وغيرهم، فهو:

1) إما انه أسلم ووحّد الله ثم رجع إلى الشرك الأكبر، فصار مرتدّاً عن الإسلام.

2) وإما أنه وارث للردّة عن أسلافه والإسلام عنده هو هذا الشرك الأكبر، وهذا أيضاً فى حكم المرتدّ ولكن يجب تعليمه وتذكيره قبل العقوبة.

أما فى الجواب عن زمن ردّة الصوماليين المشركين، فأقول: هذا يحتاج إلى بحث تاريخي دقيق، وليس لهذه المنطقة دواوين تاريخية مسلسلة على حوادث السنين، كما يوجد ذلك لأكثر أقطار العالم الّذى إزدهرت فيه الحضارة الإسلامية، وإنما يوجد لها أخبار ضئيلة متناثرة فى الكتب المختلفة هنا وهناك. ولكن من عرف طبيعة الدين الإسلامي وطريقة إحداثه للإنقلابات الإجتماعية فإنّ هذه الأخبار المتناثرة تكفيه لتصوّر التغيّرات فى العقيدة والمنهج الّذى طرأ على سكان المنطقة.

ولبيان ذلك أشير إلى النظر فى الأمثلة الآتية :

(الأول) لما بدأ النّبي صلى الله عليه و سلم الدّعوة إفترقت العرب فرقتين مؤمنة وكافرة، وقامت معركة فكرية ثم معركة ميدانية ثم غلب الإيمانُ الكفرَ فاجتمعوا على الإسلام، وصاروا قادة العالم ومُرشديه.

وكانت الردّة إلى الكفر تحدث فى أحيان كثيرة، حتى كان آخرها الإستسلام لمبادئ الحضارة الغربية الكافرة، ونبذ أحكام القرآن.

(الثاني) أسلم في القرن الأول رجالٌ من الفرس أشهرهم "سلمان الفارسي" ثم وقفت أمة الفرس فى وجه الإسلام ودخلت معارك طاحنة ضده، حتى كانت هزيمتها الأخيرة فى زمن الفاروق رضي الله عنه وصارت الأمة الغنية المتكبرة عبيداً للفاتحين المسلمين، وكان هذا الوقوع فى الأسر والإسترقاق خيراً لهم من حياة الكفر والمصير إلى نار جهنم، فدخلوا فى دين الله واندمجوا فى الأمّة المسلمة، بل صاروا في أحيان كثيرة قادةً فى بقاع كثيرة ونبغ منهم علماء أفادوا الأمة بأسرها بعلومهم، مثل الإمام البخاري ومسلم وغيرهما.

وكانت الردّة عن الإسلام أو الدعوة إلى الردّة تظهر أحياناً فيهم، مثال ذلك حركة "الخرمية" و"الشعوبية" وغير ذلك. ثم أصابهم في هذا العصر ما أصاب الأمة بأسرها من الرّكون إلى النصارى واليهود واستمداد القوانين والنظم منهم.

(الثالث) أسلم من أمة "البربر" رجالٌ معدودون فى التابعين ومن بعدهم، ولكن غالب الأمة وقفوا للإسلام موقف العداء وقاتلهم الصحابة فى معارك كثيرة كانت سجالاً ثم دخلوا فى الإسلام. واشتركوا فى الفتوحات وكان منهم "طارق بن زياد" أول من دخل الأندلس غازياً، وفى القرن الخامس حدث أن غلب الجهل والجاهلية على طوائف منهم فذهب أحدهم إلى "القيروان" وجاء بمعلّم يعلّم القبيلة الإسلام إسمه "عبدالله بن ياسين" فأبوا الإنقياد لبعض الأحكام كإقامة الحدود، فافترقت القبيلة

فرقتين مؤمنة وكافرة مرتدّة فغلب الإسلامُ الكفرَ، وتأسست دولة "المرابطين" التى حكمت المغرب والأندلس وهزمت نصارى "الإسبان" فى موقعة "الزلاقة" المشهورة.

وكانت الدعوة إلى الردّة تظهر فى أمة "البربر" وظهر من يدّعى النبوة، ثم أصابها ما أصاب الأمة.

(الرابع) ومنطقة شرق إفريقيا التى تشمل اليوم الصومال وجيبوتى واريتريا واثيوبيا كانت تُعرف قبل ظهور الإسلام وبعده ب "أرض الحبشة" ولقرب هذه المنطقة من جزيرة العرب التى هي مهبط الوحي، كان سكان المنطقة من أوائل من دخل فى دين الإسلام. وكان أوائل الذين دخلوا فى الإسلام من الحبشة على قسمين:

(أ) وهم الذين كانوا يعيشون فى داخل الجزيرة قبل ظهور الإسلام من العبيد والموالى مثل بلال بن رباح وغيره.

(ب) الذين أسلموا فى أرض الحبشة بعد دخول الصحابة المهاجرين إليها وأول أولئك الملك النجاشي والوفد الذى جاء إلى النبي صلى الله عليه و سلم من بلاد الحبشة واعتنق الإسلام.

وانتشر الإسلام ببلاد الحبشة إنتشاراً سلمياً منذ عهد النبي صلى الله عليه و سلم وذكر المسعودي الّذى عاش فى القرن الثالث والرابع أن المسلمين فى دهلك والزيلع مستضعفون فى ذمّة الملك النصراني الحبشي.

ولما ضعُفت الخلافة العباسية بعد قتل المتوكل إستقلّ كثيرٌ من الملوك ببعض أجزاء البلاد الإسلامية، فاستقلّ آل زياد باليمن، ثم انقرضوا. فاستقلّ "نجاح" الحبشي باليمن، ثم كانت دولة بنى نجاح التى إستمرّت تحكم "زبيد" ونواحيها مدّةً تقرب من قرنٍ، وسقطت دولتهم سنة (554) هـــ، وكانوا من أنواع من الأحباش جمعهم الإسلام، منهم الزيلعي والجبرتي والأمهري وغيرهم.

وقال المؤرخون في مدح ملوك زبيد المسلمين: "لم تسبقهم العرب إلا فى النسب"، وكانوا في صلة قوية بالمسلمين الّذين هم بأرض الحبشة بل كانوا يتخذونهم أنصاراً وجنوداً.

ويذكر المؤرخون أن "سعيد الأحول" كان يقود مرّةً ثلاثين ألفاً من الحبشة وهو فى اليمن وأنه هرب مع أخيه "جيّاش" إلى "دهلك" وعكف "جيّاش" على تعلّم العلوم الإسلامية قبل رجوعه إلى اليمن وغلبته على "زبيد" وله كتاب "بغية المستفيد فى أخبار زبيد".

ويذكر المؤرخون المسلمون كابن خلدون والمقريزي وابن حجر العسقلاني والقلقشندي وغيرهم أنه منذ بداية القرن السابع الهجري إلى أواخر القرن العاشر كانت بلاد الحبشة منقسمة إلى قسمين، هما:

مسلموا الحبشة وكان مركزها زيلع وغيرها، ونصارى الحبشة ومركزها "أكسوم" و "هضبة الحبشة".

وظهر من ملوك الحبشة المسلمين مجاهدون يقاتلون النصارى مثل "سعد الدين" و "صبر الدين" و"أحمد الغازي" أو "أحمد الأشول" أو " أحمد غرّان" كما يسميه المؤرخون المسلمون.

وقد إنتصر "أحمد الغازى" على النصارى واستولى على "هضبة الحبشة" ومدنها مدّة طويلة، وقُتل في معركةٍ ضدّ البرتغاليين الّذين جاءوا لنجدة نصارى الحبشة. ومع قلّة الأخبار التاريخية للمنطقة بالنسبة إلى باقى الأقطار التى حكمها الإسلام، فإننا نقدر إذا اعتمدنا على ما كتبه المؤرّخون المسلمون أن نقسم الفترات التاريخية للمنطقة إلى الأقسام الآتية :

1) فترة الانتشار السلمي للإسلام تحت سلطان النصارى مع الإتصال الوثيق بدار الإسلام وهي من القرن الأول الهجري إلى القرن السادس.

2) فترة الجهاد والصراع وانقسام المنطقة إلى قسمين هما: مسلمو الحبشة ونصارى الحبشة، وهذه الفترة تمتدّ من بداية القرن السابع إلى نهاية القرن العاشر. ويذكر المؤرّخون أن الذى أسس السلطنة الأولى هو: عمر ولسمع الجبرتي، قال ابن حجر العسقلاني: "أصله من مكة". وبلاد الحبشة الشرقية –وهي الصومال وجيبوتي وشرق وجنوب إثيوبيا– كانت في هذه الفترة جزءاً من العالم الإسلامي وعلى صلة وثيقة بدولة المماليك ثم العثمانيين، وكانت "مصر" و"اليمن" ملجأها فى الظروف القاسية.

3) فترة الضعف بعد سقوط السلطنات القوية، وذهاب الوحدة السياسية، وما يُجهل عن أحوال هذه الفترة أكثر مما يُعرف.

4) فترة الغزو الأوروبي وخضوع البلاد لسلطانهم، والإنقياد لتشريعاتهم،وهي من أواخر القرن الثالث عشر الهجري إلى اليوم
وإذا نظرنا إلى هذه الفترات التاريخية فإننا نجد أن هذه الأمة قد مرّت بكلّ الأطوار التى كانت تمرّ به كلّ أمة جاهلية دخلها الإسلام حيث كان يبدأ إسلام بعض الأفراد ثم يتبعها إنقسام الأمة الواحدة إلى قسمين، مؤمنين وكافرين، ثم مرحلة الجهاد والصراع التى كانت تنتهى غالباً بالقضاء على سلطان الكفر أو إقتطاع أقاليم منهم.
ونجدُ كذلك أنه لم تنجُ أمة مسلمة من ظهور دعوات إلى الكفر والردّة فى داخلها وظهور من يدّعى النبوّة، وكذلك يذكر المقريزي المؤرخ ظهور رجل كذّاب يدّعى النبوّة فى بلاد الحبشة المسلمة وأنه تبعه خلائق كثيرة بلغوا مائتى ألف، حتى خاف ملك الحبشة الأمهري النصراني على ملكه. ولكن الناس إكتشفوا كذبه فتفرّقوا عنه.
ويُلاحظ دارس تاريخ هذه المنطقة أن أزهر عصورها هي ما بين القرن السابع إلى العاشر فقد تميّزت بأمور :
أ- أنها صارت قوّة إسلامية مرتبطة بالعالم الإسلامي، وتجاهد النصارى.
ب- ظهور علماء وفقهاء أفادوا الأمة وبقيت كتبهم إلى اليوم مثل : "فخر الدين الزيلعي" صاحب "تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق" وهو كتاب لا يزال يُعتمد عليه فى فقه الحنفية، وتوفي (743) ه،
و"جمال الدين الزيلعي" صاحب "نصب الراية فى تخريج أحاديث الهداية" وهو أيضاً لا يزال يُعتمد عليه فى تخريج الأحاديث، وقد إعتمد الحافظ ابن حجر العسقلاني على تخريجاته كثيراً وتوفي الزيلعي (762)ه وقد ذُكر فى كتاب "تاريخ اليمن" كثير من العلماء الجبرتيين والزيلعيين الذين كان يُؤخذ منهم العلوم الإسلامية.
ج-إهتمام المؤرخين بأخبار المنطقة فى هذه الفترة فكتبوا حوادث كثيرة مسلسلة بالسنين مثل المقريزي فى كتابه "السلوك" و"الإلمام بأخبار من بأرض الحبشة من ملوك الإسلام" وابن حجر العسقلاني فى كتابه "إنباء الغمر بأبناء العمر".
و إذا ثبت أن هذه المنطقة كانت فى يوم من الأيام داراً للإسلام وثبت أنها تحولت إلى دار كفر تُحكم بالقوانين الوضعية، فإن ذلك حجّة كافية لإثبات أن الدار أصبحت دار ردّة و إن لم يُعرف معرفةً دقيقةً الزمن الّذى وقعت فيه هذه الردّة لقلّة المعلومات التاريخية الدقيقة.

(9) ما معنى كلمة "أصل المجتمع"؟ وما هو أصل المجتمع الصومالي اليوم؟

الجواب: عند ما يتحدّث كثير من النّاس عن أحكام الديار والمجتمعات أو يختلفون فى حكم مجتمع أو بلد بعينه تجد وُرود كلمة "أصل المجتمع" فى كلامهم كثيراً والقول بأنّ هذا المجتمع أصله "الإسلام" أو "أصله "الكفر".
ومع وُرود هذه الكلمة فى حديث الجميع إلا أنّه من الظّاهر أنهم مختلفون فى المراد منها، وعلى أقوال متباينة، فأردتُ -أملاً فى التقريب بين المفاهيم- أن أبيّن المفهوم الصحيح الذي يجب أن تعنيه كلمة "أصل المجتمع" وأن أبيّن كذلك المفاهيم البعيدة عن الصواب التي ينتحلها بعض الغيورين الذين تنقصهم المعرفة والتعمق فى فهم إصطلاحات العلماء والقواعد الأصولية والفقهية التى يوردونها فى كتبهم:
(أ) منهم من يظنّ أنّ المراد بـــ"الأصل" هو ما كان عليه المجتمع فى سالف عهده، فإن كان المجتمع فى سالف عهده وتاريخه القديم معدوداً فى العالم الإسلامي أو ديار الإسلام فأصله "الإسلام"، وإن ارتدّ الحاكم والمحكوم وصارت السلطة بيد أعداء شريعة الله، فإنّ "أصل المجتمع" لا يزول وهو ثابتٌ ثبوتاً تاريخياً مستمرّاً على مرّ الأجيال فى رأي هؤلاء، ولذلك يستحلّون بهذه القاعدة القائمة على الخطأ فى الفهم مناكحة أهل الشرك أو الردّة وأكل ذبائحهم والصلاة خلفهم وعليهم.
فيقولون مثلاً: "هذه البلاد صارت دار كفر أو ردّة وقد وجب قتال الطائفة الممتنعة الحاكمة بغير ما أنزل الله"، ثم تجدهم يعاملون أعضاء المجتمع كمعاملة المسلمين، وإن سُئلوا قالوا: "الأصل فى المجتمع هو الإسلام" وهذا خطأ شنيع ويلزم منه أن نعتقد إسلام الأمم الكافرة التى ذكرها الله فى كتابه ووصمهم بالشرك والكفر وأمر بجهادهم، بحجّة أنهم من ذرّية قوم مؤمنين، فمشركوا العرب كانوا فى "الأصل" على ملّة إبراهيم وإسماعيل عليهم السلام قبل مجيء عمرو بن لُحيّ.

واليهود كانوا فى "الأصل" أصحاب موسى عليه السلام، والنصارى كانوا فى "الأصل" أصحاب عيسى عليه السلام وعلى ملّته، بل إنّ جميع الأمم الكافرة فى جميع الأزمان كانوا فى "الأصل" -أي تاريخهم القديم- على ملّة أبيهم آدم عليه السلام.

والله سبحانه وتعالى قد قسم النّاس إلى مؤمنين وكافرين، وقال:﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ﴾ وأنزل لكلّ قسم أحكاماً خاصّة بهم يعاملون على أساسها مع كون الجميع من "أصل" واحد ومن ذرّية نبيّ واحدٍ كان على الإسلام والحنيفية.

وبهذا تعرف أنّ التّاريخ القديم لأيّ مجتمع لا تأثير له فى تحديد أحكام التعامل التى يستحقّها، وإنّما يُعامَلُ كلّ مجتمع على أساس الدين الذي هو عليه في الوقت الرّاهن، فإن كان على الشرك والوثنية فله أحكام خاصّة به، وإن كان على النصرانية أو اليهودية فله كذلك أحكام خاصّة به، وإن كان على الردّة فله أحكام خاصّة به، بغضّ النظر عن تاريخه القديم ودين أجداده القدماء.

(ب) ومنهم من يظنّ أنّ كلمة "أصل المجتمع" تأتي عند الحديث عن الكفار ولا تأتي عند الحديث عن المجتمع المسلم، لأنّ الكفار قسمان:

(الأول) أصليون: وهم الذين لم يدخلوا فى الإسلام قطّ، وإنما هم على الكفر الذي نشأوا عليه، كاليهود والنصارى والوثنيين.

(الثاني) فرعيون: وهم المرتدّون الذين دخلوا فى الإسلام ثم خرجوا منه.

ويقول: "الأصل فى الأولين الكفر، والأصل فى الآخرين الإسلام" فينشأ من هذا الفهم المنحرف أن يُعامل أهل الردّة كمعاملة المسلمين من حيث النكاح والذبائح والصلاة خلفهم وعليهم، والحقّ انّ شريعة الله شدّدت التعامل مع أهل الردّة وأمرت بقتل المرتدّ إن لم يتب، لا يُهادن ولا يُسترق ولا يصالح على جزية، فإمّا أن يتوب وإمّا أن يقتل. وهذا بخلاف التعامل المشروع مع أهل الأوثان وأهل الكتاب الذين يهادنون ويصالحون على جزية ويحلّ نكاح وطعام أهل الكتاب.

وفقهاء الإسلام وإن قال بعضهم: الكافر أصليٌّ وفرعيٌّ، إلا أنهم مجمعون على قتل المرتدّ بعد الإستتابة، وخالفت الحنفية فى المرأة المرتدّة. فإن كان كلّ مرتدّ محكوماً بالقتل فما فائدة القول بأنّ أصله الإسلام أو أنّه فرعيٌّ لا أصليٌّ.

(ج) ومنهم من ظنّ أنّ التأصيل قائم على الزعم والإدّعاء وإن كان يكذّبه الواقع المشاهَد. فيظنّ أنّ الأمة إذا زعمت أنها مسلمة فأصلها "الإسلام" وإن كانت على الردّة والإنسلاخ من الدّين، فيُعلن عليها الحرب والقتال لردّهم عن الإسلام فى وقتٍ يُفتِي بحِلِّ مناكحتهم وذبائحهم والصلاة خلفهم وعليهم.

والحقّ أن الزعم والإدّعاء ينفع الفرد والمجتمع إذا لم يوجد ما ينقضه ويكذبه، أما إن وُجد دليلٌ على كذب الزعم والإدعاء فلا يكون له وزنٌ وتأثيرٌ عند إصدار الحكم الذي يستحقّه. قال الله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُمْ بَلِ اللّهُ يُزَكِّي مَن يَشَاء وَلاَ يُظْلَمُونَ فَتِيلاً. انظُرْ كَيفَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللّهِ الكَذِبَ وَكَفَى بِهِ إِثْمًا مُّبِينًا﴾ (النساء).

وقال: ﴿لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ مَن يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلاَ يَجِدْ لَهُ مِن دُونِ اللّهِ وَلِيًّا وَلاَ نَصِيرًا﴾ (النساء).

وقال: ﴿وَقَالُواْ لَن يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلاَّ مَن كَانَ هُوداً أَوْ نَصَارَى تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُواْ بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ (البقرة).

وفال: ﴿وَقَالُواْ كُونُواْ هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُواْ قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (البقرة).

ولمّا إدّعى كلّ من أهل الأوثان وأهل الكتاب أنهم أولى النّاس بإبراهيم عليه السلام، ردّ الله زعمهم الباطل وقال: ﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلاَ نَصْرَانِيًّا وَلَكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ. إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُواْ وَاللّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (آل عمران).

فالقول بأن من زعم الإسلام فأصله "الإسلام" مطلقاً قولٌ باطلٌ مخالفٌ لكتاب الله، والزّعم الذي لا تصديق له من الواقع لا تأثير له فى الحكم وإنزال العقوبة.

قال تعالى: ﴿ قَاتِلُواْ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَلاَ بِالْيَوْمِ الآخِرِ وَلاَ يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللّهُ وَرَسُولُهُ وَلاَ يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُواْ الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾ (التوبة).

وقد قاتل الصحابة رضوان الله عليهم الخوارج ومانعي الزكاة وبني حنيفة وهم يدّعون الإسلام ويقولون: "لا إله إلا الله محمدٌ رّسول الله".

فإذا عرفت أنّ تاريخ القوم وأديان أجدادهم القدماء لا يُؤثّر فى الحكم الذي يستحقّه فى الواقع الرّاهن. وعرفت أنّ الكافر الفرعيّ أشدّ فى الإثم والعقوبة من الكافر الأصلي وعرفت أنّ الزعم والإدّعاء لا ينفع الإنسان فى الدنيا والآخرة إذا كان يُكْذِبه الواقع. إذا عرفت ذلك بقي أن تفهم مراد العلماء عند ما يقولون في كتبهم: "الإسلام هو الأصل" أو "أصل الدار هو الإسلام" إنّهم حين يقولون ذلك ينطلقون من القاعدة الأصولية القائلة ب "إستصحاب الحال" أو "إستصحاب البراءة الأصلية" ومعنى ذلك: أنّ من عُرِفَ بصفةٍ معينة فإنه يُوصفُ بها ما لم يأتِ بخلافها ومثال ذلك: إذا عُرِفَ الرجل بالإسلام وانقطع خبره مدّة طويلة ثمّ أرسل إليك لحماً من ذكاته فإنّنا نحكم بحلّ هذا اللحم ونقول "الأصل هو الإسلام" وكذا إذا أسلم القوم أو المجتمع فإنّنا نستصحب دائماً هذا الحال ونقول: "أصله الإسلام" أو "البراءة الأصلية" فلا نظنّ بهم كفراً ولا نعاملهم معاملة الكفّار ما لم يظهر منهم ما يرفع البراءة الأصلية من الكفر والردّة.

وكذلك إذا عُرِفَ الرجل بالشرك الأكبر فإنّنا نستصحب هذا الحال ولا نظنّ به خيراً وتوحيداً ما لم يأت بالخير والتوحيد وكذا إذا ارتدّ القوم وكفروا وجب إستصحاب حالهم ومعاملتهم معاملة المرتدّين ونقول:"الردّة هي الأصل" أي هي آخر حالهم الذى نبني عليه الأحكام. فإن تابوا من الكفر والردّة وأظهروا الإسلام، نُغيّر طريقة التعامل ونقول: "الأصل هو الإسلام" قلا نرميهم بكفرٍ ما لم يظهر منهم خلافُ ذلك.

فأصل المجتمع هو آخر حاله الذى نبني عليه أحكام تعاملنا معه، وقد يتحوّل من حالٍ إلى حالٍ فيكون الأصل دائماً هو آخر الأحوال.

"أصل المجتمع الصومالي":

إذا أعرضنا عن التاريخ القديم والتحوّلات التي طرأت على سكّان المنطقة، ونظرنا إلى القرن الأخير، فإنّنا نجد أن الغزو الأوروبي شمل المنطقة واستسلم الشعب لسلطة البريطانيين والإيطاليين والفرنسيين والأحباش، فصارت الدار دار كفرٍ لسريان أحكام الكفر عليها، ولم يكن الأمر غلبة أُمةٍ لأمةٍ من الناحية العسكرية فحسب، بل إنّ النظام التربوي الجاهلي أخذ طريقه إلى أفكار ومشاعر فئات المجتمع، حتى صار التثقف بثقافة الغرب آية التقدم والرقى الحضاري، وصار الفوز بالوصول إلى عواصم الكفرة أسمى الأماني. ثمّ وُضعت السلطة في يد أبناء البلاد وهم لا يرون السير في طريق مخالف لطريق أسيادهم الغربيين، فلم يتغيّر النظام السياسي والاجتماعي والتشريعي الذي تركه الغربيون. ولذا لم يتغيّر حكم المجتمع وظلّت البلاد داراً للكفر لسريان أحكام الجاهلية عليها.

ومن البديهيات التى لا يُنكرها عاقلٌ أنّ الشعب الواحد إذا كان مختلفاً فى الدين أو فى فرع من فروعه فمن المستحيل أن تنقاد الأغلبية لدين الأقلية التى لا تفوقها مادياً وعسكرياً، بل إن السنّة الجارية فى المجتمعات أن تكون السلطة لأهل القوّة والغلبة، ولذلك فإنّ تمسُّكِ الأمة بالقوانين والنظم الجاهلية بعد ذهاب الغربيين وطاعتها لرؤساء الكفر دليلٌ بيّنٌ على رضاها بالكفر أو رضا الأغلبية بالكفر.وبُغض بعض الأفراد أو الفئات لنظام الكفر وحبّهم وسعيهم لنظام الإسلام لم يكن ليجعل الدار دار إسلام مع سريان أحكام الكفر عليها. وإذاً فإنّ أصل المجتمع الصومالي هو الإعراض عن شريعة الله، والإعراض عن الشريعة هو الكفر البواح.

هذا هو الدليل الأول .. والدليل الثاني هو أنّه لما ظهر أهل التوحيد الذين تبرأوا من أهل الكفر الرّاضين بشرائع الجاهلية أجمع المجتمع علماؤه وعوامّه على ذمّهم ووصفهم بالمروق من الدّين، وأفتى المقدّمون على إسلام حكّامهم الذين يقودون الأمة بشرائع الجاهلية، وأفتوا كذلك على حلّ دماء الموحّدين ووجوب طاعة الطواغيت، وكفى بالمرء عمىً أن يعمَى عليه أمر أُمّةٍ هذه حالها. فهذا هو آخر حال الأمة ونحن نستصحب هذا الحال إلى أن يتغيّر، فنقول: الكفر هو الأصل فى هذا المجتمع اليوم.

فإن رجعوا إلى الله واستسلموا لشرعه وتبرّؤا من الكفر وأهله، فسوف نعترف لهم إسلامهم الجديد ونقول "الإسلام هو الأصل فى هذا المجتمع اليوم". فلكل مقام مقال .. والله أعلم .. والحمد لله رب العالمين.....